مدخل للنظرية التحليلية في الترجمة و الترجمة الفورية

أ . بوهلالة أمحمد
جامعة طاهري مُحَّد _ بشار

توطئة:

إنه من الأهمية بمكان قبل تقديم المقال للنشر الإشارة إلى أهمية ترجمة الأبحاث في نقل المعارف و النظريات التي تعالج كثير من الجوانب العلمية والفلسفية التي يحتاجها الباحث المهتم بأي حقل من حقول المعرفة. يعالج صاحب المقال ماثيو جيدار عدة قضايا فلسفية ، نظرية و تطبيقية، تساعد المترجم و المترجم الفوري في ممارساته العملية وتجعله قريبا من حقيقة المصدر. و يحتاج بالضرورة إلى هذه المعارف و التقنيات الباحثون المهتمون بتحريك النصوص نحو اتجاهات لسانية متعددة.

إن مهمة النقل و التحويل و الخيانة من المهام الصعبة لأنها مسؤولية تجاه الحروف و الكلمات، و المعادلات والأفكار والتأويلات و المشاكل... و بأي وجه جاءت هذه الترجمات، فهي ضرورة فرضتها مواكبة العصر وفرضها الاتصال الثقافي و الحضاري مع ما ننتجه من علم و فن و أدب، و ما نستورده من الغير في هذه المجالات و في غيرها. و بأي حال من الأحوال تبقى النصوص المترجمة، نصوصا قابلة للسجال الفكري و النقد، تحتمل الرفض وإعادة القراءة.

لماذا ترجمة هذا النص؟

- ترجمنا هذا المقال إلى اللغة العربية لأنه نص معاصر جم الفوائد و ثر المعاني، يغوص في أبعاد فلسفية و معرفية تتعلق بممارسة التحليل في الترجمة والترجمة الفورية.
- ينطلق من اشتغال المنظر الفرنسي أندري ميشونيك فيما تعلق بالشعرية والترجمة و الشفافية و الايدولوجيا.
- يعالج مفاهيم حداثية مثل: الشعرية والأخلاق و السياسة.
- يتناول أساسيات الترجمة و المعنى الموَجه و قضايا الإدراك و التصور، والتفسير...
- التحليل و الترجمة الفورية هي قراءة تقتضي معرفة المترجم لسلوك وانفعالات المتكلم و أثرها في الترجمة.
- مكانة المترجم بين النصين و خارج النص.
- المكعب الترجماتي و كيفية قراءة الثلاثة زائد ثلاثة في الترجمة.

مؤلف المقال:

السيد ماثيو جيدار Mathieu Guidère أستاذ جامعات، مكلف بالعربية، خريج دكتوراه من جامعة السربون. مدير البحث العلمي بجامعة باريس08 للعلوم الإسلامية و علوم الترجمة .

ملخص:

يواجه العالم في عقده الأخير عدة اضطرابات، غير أنه لم تأخذ نظرية الترجمة في اعتبارها العواقب الحتمية المتعلقة بمهمة المترجم. و لم يكتف المنظرون والمشتغلون بحقل الترجمة بتحليل التغيرات التي فرضتها وجهات النظر، أو التطبيقات المعمول بها في ميدان تداول الخطاب، خاصة تلك المتعلقة بالترجمة. يعرض هذا المقال بعض المظاهر المهمة في تحولات بعض المظاهر التي تناضل لصالح نموذج نظري جديد للترجمة التحليلية، والتي تستدعي حاليا تطبيقات واسعة.

يؤكد هنري ميشونيك في كتابه « لأجل الشعرية » pour la poétique الصادر سنة 1973م على أهمية الايدولوجيا في دراسة الترجمة، حيث يقول: تقع نظرية ترجمة النصوص في الاشتغال الأساسي للإبستومولوجيا " لنظرية المعرفة ". وتتجلى في العلاقة التي تنشأ بين التطبيق التجريبي والتطبيق النظري، وبين الكتابة والفكر، وبين العلم والفكر (...) بوصفها نظرية عبر لسانية(translinguistique) للنطق تشكلت من تفاعل بين لسانيات المنطوق(...) ونظرية المعرفة. (ميشونيك 305:1973)

ويرى ميشونيك أن مفهوم الشفافية في الترجمة يعكس ببساطة جهل المترجم. لأن الترجمة شيء آخر،غير إعادة نطق تعلقت بموضوع سابق(الإقتراح11) :« إن الوهم في شفافية الترجمة يعود إلى النظام الإيديولوجي الذي تؤطره مفاهيم مرتبطة بعدم التجانس الواقعة بين التفكير و الكلام ».(ميشونيك 305:1973) . ولتبرير هذا الوضعية، يؤكد ميشونيك على أن الرابط غير قابل للفتح في إطار الترجمة بين الكتابة والايدولوجيا: « الدراسة النظرية والبيداغوجية للنصوص تفقد الإحساس وتدنس وهي تشتغل في نظرية سيميائية للغة الشعرية في علاقتها بين الكتابة والايدولوجيا، حيث يمكنها تحويل النموذج النظري والتطبيقي، والنموذج الاجتماعي للترجمة».(ميشونيك 323:1973)

يشير أنطوان بيرمان في كتابه التحدي من الخارج (L'épreuve de l'étranger) الصادر سنة 1984م، أن التفكير في الترجمة أصبح ضرورة داخلية. و السؤال الأخلاقي الوثيق يرتبط بدراما المترجم الممزقة بين قطبين، بين الإصدار و المؤلف و بين الراوي و الجمهـور: « الترجمة خدمة لسيدان ».(روزنزويج) . والتفكير بالضرورة أساسي لأن الثقافات تقاوم الترجمة، حتى و إن كانت في حاجة ماسة إليها. فبواسطة تمركز لا إرادي حول الذات يتجلى عمق الترجمة في أن تكون مفتوحة، حوارية، تمازج بين الأجناس و متغيرة. و هذا الخلق حسب بيرمان يعارض

الخلق السلبي الذي يسعى إلى تحويل الترجمة عن نظرتها الإنسانية و رؤيتها، ويضعها في خدمة قيم إيديولوجية تعمل على نفي الغرابة عن الآخر، و عن النص المترجم. لذلك وجب على المترجم تنمية الجانب التحليلي الذي يمكنه من تحديد الأنظمة التي تشوه و تهدد تطبيقاته. و هي تعمل بشكل واعي و غير واعي على مستوى اختياراته في الترجمة. وعليه فإن الترجمة التحليلية تفرض على المترجم مراقبة حملته الترجماتية.

كشف هنري ميشونيك في إصداره« في أخلاق و سياسة الترجمة » عن ثلاثة مفاهيم هي: (الشعرية، الأخلاق، والسياسة)، أسهمت في مجملها في نظرية اللغة أين تلعب الترجمة دور المكمل: « أنا لا أعرِف الأخلاق على أنها مسؤولية اجتماعية و لكن أعرفها كموضوع يسعى إلى أن يتشكل من خلال نشاطه، و لكن هذا النشاط يعد موضوعا يخضع له موضوعا آخرا. و في هذا المعنى يتحقق الكلام. و يكون موضوعه غير قابل للانفصال أخلاقيا أو شعريا. و تهتم أخلاقية الكلام في إطار هذا التضامن بكل عناصر اللغة و الأفراد المتكلمين، فلذلك تعد الأخلاق سياسة.»(ميشونيك 08:2007)

أساسيات الترجمة التحليلية:

أول عنصر عميق يقود إلى هذا النموذج الجديد هو ظاهرة التسييس الزائد في اللغة، و ذلك ما يؤكد أكثر فأكثر على أنها بمثابة أداة إيديولوجية و قضية سياسية من أول حجر أساس. و هما مظهران من المستحيل جعلهما مجردان في أغلب نواحي العالم.

العنصر الثاني ينبع من معرفة حقيقية ودقيقة للعمليات المعرفية الموضوعة تحت التصرف الإنساني في تحقيق ترجمة ما، مهما كانت طبيعة النص الذي سيترجم. وحتى حدس المترجم من الأفضل معرفته و تحليله بطريقة علمية في إطار العلوم المعرفية. والجمع بين التخصصات يسمح بالقبض على تعقيدات المهنة التي نعتقد أنه يصعب سبر أغوارها. و هذه العناصر لها مؤيدين و تمتلك عموميات لا تحبذ أن يتم شرحها بالتفصيل، لأنها تحث على تصميمات جديدة في الترجمة، و تحث على رؤيا متجددة للمترجم. وهذا التصميم المفصل حول مفهوم «**الانعكاسية**» يشمل كلا من تفكير المترجم حول عمله، و الطابع الانعكاسي لعملية الترجمة. و يمكن لهذه الانعكاسية الظهور حسب حالات معينة، تظهر مثلا كمرآة للحالة الروحية للمترجم، أو موشور مشوه لتصميمات المترجم و مدركاته ونواياه.

تستعيد الترجمة التحليلية كثيرا من المسلمات من علم الترجمة الكلاسيكي:

1- ترفض الترجمة التحليلية الانفصال عن النص المراد ترجمته و موضوع الترجمة لأن الاثنين غير منفصلين في النشاط الترجماتي، فأحدهما يحقق وجود الآخر ويقوم بتحيينه.

2- تنكر الترجمة التحليلية أن حقيقة المعنى تقبع داخل النص: لأن المعنى يمتلك مستقبل يعتمد بدوره على قدرات المترجم، و المترجم هو الذي يقوم بتحيين أي شيء كان في بداية العملية أو في نهايتها.

3- ترفض الترجمة التحليلية الطابع الغامض للمعنى، و تعتبره توجيها لروح المترجم في لحظة ما حول موضوع خاص. فإذا كنت تفسر لا يعني ذلك أنك تترجم؛ فالتفسير في حد ذاته يعد أ حد روافد الفهم للمترجم.

4- تعترض الترجمة التحليلية على وظيفية النص الموجه نحو الترجمة، لأن الوظيفة و ما يحيط بها تعد معطيات غير موضوعية، وهي متغيرة و غير مستقرة بالنسبة للمترجم. أما كمالية الترجمة بوصفها فعلا فهي قابلة للتطور، و هي ظرفية لذلك لا تتخذ أساسا للترجمة.

5- تتوجه الترجمة التحليلية في العمق نحو الاستقلالية، و نبذ الأحكام الذاتية في علم الترجمة. حيث تعارض الذاتية بالمنطق، و تنظر إليها نظرة نفور دائم. لأن الذاتية تتخلص من النماذج المعلوماتية أو التواصلية (الباث، المتلقي، الخ...).

2.المعنى موجه:

نعرف منذ زمن طويل أن اللغة تمتلك تطبيقاتها العملية و الجوهرية، و أنه لا يمكن للمترجمين تجاهل هذه الملكية اللغوية، و على الرغم من ذلك يواصل المترجمون الترجمة و كأن الكلام شفاف، و كما لو كانت الألفاظ مخصوصة ومفاهيمها سليمة لا تحمل أي عدوى. و كيفما كانت هذه الترجمة ناتجة عن الجهل أو عن قلة الوعي فالناتج النهائي لهذه الترجمة سيبدو منحرفا، حتى و لو كان يصبو نحو الوفاء للنص الأصلي.

ليست الترجمة بالنشاط المحايد، و ذلك يعني أن المواضيع المترجمة، مواضيع متحركة على الرغم من أنها مجموعة ألفاظ و تعابير فليس من الممكن خفض حمولتها الإيديولوجية المقترحة خاصة السياسية منها.

و هناك الحالة التي تفرض فيها الكلمات نفسها و تفرض حمولتها خاصة في الميادين علمية و التقنية. فيصبح ذلك بعيدا عما نعتقد، و يكون المترجم محايدا في نقل تلك الحمولة، لأنه نقل المعنى بشكل موضوعي إلى لغة أخرى. و يمكن للمترجم أن يفقد شيئا من المعنى أثناء الترجمة، و لكن عليه أن يحقق المهم، و يكون ظاهرا بشكل صحيح في حمولة المعنى المحايد. يصبح السؤال حول صحة الترجمة مركزي، ففي التطبيق ليست فقط الألفاظ التي ستترجم هي الوحيدة غير المحايدة، بل على الأكثر من ذلك الكلام يحمل قصدية واضحة.

يجب التمييز بين القصد و القصدية ،حيث يشير الأول إلى مفهوم التواصل الإنساني و يعتبر تطوعي وواعي، و هو ليس ثابتا في نفس الحالة. أما الثانية(القصدية) فهي ذات طبيعة ميدانية تتعلق بالمضمون وتستوعب المفاهيم التكميلية، و تتصور الترجمة كفعل موجه و مدروس.

إن ترجمة نص «للقاعدة» يعني قبل كل شيء أن نكون على بينة من حقيقة أن الألفاظ في ذاتها تحمل قصدية تامة، و لكن الترجمة المحايدة في هذه الحالة تصبح في ذاتها مقصودة، بمعنى أن المترجم يمتلك رؤية خاصة تكمن خلف عمله، و تتضح من خلال اختياراته للمعادلات بين اللغات.

انطلق الفيلسوف بول ريكور في كتابه "في ثنايا التمييز " من التحليل السيميائي للفعل " يتعرف" في بناء نظريته المعرفية. و يشرح كذلك تحول المعنى بناءا على فكرة التعرف فقد يعرف الشيء في ذاته، كما قد تحدد الأشياء بعضها ببعض، أو أن تكون معروفة...الخ. و هدفه طبعا هو أن يجعل المنجزات العقلية – التي تلوح في الأفق خلف الألفاظ – تأخذ بالاعتبار الوزن الثقافي للجماعة في إعادة عرض اللغة. ويعد النص المترجم نص متلون، و اختيارات الترجمة تصبح بذلك متعددة. فما هو الشيء الذي يلفت انتباه المترجم؟ و بأي مواصفات سيرتبط بالترجمة؟

إننا ننظر عن كثب لإدراك المترجم و ليس فقط لحمولة الترجمة، لأنها تنقل أيضا أحكاما مسبقة و أفكار خاطئة. و التي تتداخل أحيانا في فجوات الترجمة. و من الأكيد أنه يمكن للمترجم نقل حقيقة ما بشكل جيد، عندما يعي معنى النص. و في وسع حدسه و خبرته تمكينه من ذلك. و لكن يبقى إدراكه محمولا على خيار شخصي غير موضوعي يتعلق تحديدا بما يقوله النص. و حتى عندما يكون الإدراك غير مرفق بالانعكاسات على المعنى الحقيقي للنص، فالانعكاسات تعطيه معنى، و تقرر ما سيقوله للمتلقي النهائي غير المطلع على الأصل.

هذه العملية تصبح أكثر أهمية عندما يكون النص غامض، و يكون عرضة لاستقبال عدة تحويلات، فالترجمة لا تجعلنا على اتصال مباشر بالنص. و لكن على اتصال بألفاظ اختارها مترجم النص. فالغاية التي سنتوصل إليها ليست النص في ذاته، و لكن بعض مفاهيمه. و المعنى المنقول إلى المستقبل النهائي يبدو دائما موجه أو على الأقل غير موضوعي، لأنه مر عبر زاوية الترجمة.

يوجد مشكلان بارزان يمكنهما التشكل غير أنهما لا يستنفذان الأسئلة التي تطرحها الترجمة التحليلية:

– أولا السؤال حول أصل طبيعة إدراك المترجم، و المشكل يكمن في معرفة إن كان الإدراك هو نفسه الحدس الأصلي للترجمة، أو بالأحرى هو مشتق من أصل يحتاج إلى أن يكتمل.

– **في الحالة الأولى** سيكون الإدراك أساس لمعرفة أفعال المترجم، و يجب عليه الاشتغال على هذه المدركات ليقولها فيما بعد، فيثري و ينوع المعرفة النظرية و التطبيقية في الترجمة.

– **في الحالة الثانية** ينظر للإدراك كزي لفهم العالم و النص. و هذا الزي مستمد من الأحاسيس أو معلومات الشخصية التي ستعين المترجم في لحظة مقدمة لموضوع حدث خاص. لذلك يصبح من المهم إثراء معارف المترجم الموضوعاتية التي تلمس اشتغاله، من أجل تأمين أكبر قدر من الافتخار بالمنتوج النهائي(النص المترجم).

إن طبيعة الإدراك الترجماتي يعد سؤالا في العمق. لأنه يشترط التجربة الاحترافية والتكوين في ميدان الترجمة. لأن الإدراك لا يجعلنا حاضرين فقط في نص مختلف، و لكن يجعلنا حاضرين أيضا في معنى مخصوص لذلك النص، الذي ينتقل إلينا عن طريق المترجم بوصفنا مستقبلين نهائيين.

نؤكد في هذه الحالة على الفعل الذي يحمل معنا محدودا، و ليس على الترجمة لأن التفسير نشاط ذهني يقوم بدوره على إدراك المترجم، و هو ثانوي مقارنة بالإدراك الذي يوجهه تفكير المترجم و اعتقاداته في موضوع كلمات أو أفكار قدمها أحد الكتاب.

هذا التمييز بين التفسير و الإدراك يتوجه لضبط و تأكيد أنه من المستحيل ألا يبالي المترجم بالموضوع الذي يترجمه: فينظر إليه على أنه بسيط أو معقد، عام أو خاص، سطحي أو عميق، ممتع أو ممل....الخ.

و أيضا في الحالات التي لا تختلف النظرة حول النص المقدم للترجمة، فإنه لا يوفر المعنى الذي تم تقديمه بشكل موضوعي، و في حالته التامة، حتى و إن لم يظهر فيه الاختلاف.

و هكذا يكون معنى النص المترجم – تقريبا و بشكل دائم – نتاجا لفعل مدرك مشحون عاطفيا ووجدانيا في معاني ألفاظه الفلسفية. و هاتان الحالتان النفسيتان تنطويان على وضع توجه يهتم بالطريقة التي ينظر بها إلى النص الموجه نحو الترجمة. و يمكن القول باختصار أن حيادية المترجم تعد من المغريات و من مخاطر الترجمة. و هي أخلاقية قبل كل شيء.

3– التحليل ضروري:

لقد اخترنا الحديث عن المترجم و علاقته بالإدراك. و لكن يمكننا أن نستدعي نفس الإشكالات بالنسبة للمترجم الفوري في أن نتتبع التمييز الفلسفي بين الإدراك الحسي القائم على المادة و الإدراك الذهني المؤسس على الروح. ففي عمل المترجم الفوري، نجد الإدراك في كينونته و في حالته العاطفية(عدوانية، فرحته، عفويته...الخ) يؤثر في ترجمة قول الآخرين، و في نفس الوقت يكون تصور وإدراك التأثيرات و الأفكار عامل حاسم في عملية الترجمة الفورية. و نأمل أن يسمح لنا التمييز بين هذه الحالات المختلفة برؤية ما يشمله الإدراك، و نسمو بالعمل الذهني للترجمة الفورية الكلاسيكية.

فالتلقي عند الآخرين لخيبة الأمل، تلقي لإشاراتهم و أقوالهم المتضاربة سرعان ما يؤثر على ما يريدون قوله، وعلى ما يستطيع المترجم الفوري تحويله أو ترجمته. فتلقي الإشارات في التواصل غير اللفظي يعني أنه يجب في كل مرة حل شفراته و قراءته بطريقة ما. فالمترجم الفوري يرى عبوس حاجب العين، و الحركات الإشارية للمتحدث، فيقوم بربطها بالكلام المنطوق و يترجم الكلمات وفقا لذلك. وهذه تعتبر سمة من سمات الإدراك الفوري، لأن معاني المترجم الفوري محسوسة و ليست فقط معرفية أو لسانية.

إذا كان يدرك المترجم في عبوس الحاجبين إغاظة و في الحركات و التصرفات غضب، فإن تلقي معاني هذه الحركات الجسدية ستقوده حتما لإنتاج ترجمة فورية تولي اهتمام بالأشكال الأقل وضوحا و غير الموضوعية. نصل من خلال هذه الأمثلة أن فعل التلقي يتطلب مجهودا شخصيا، فالمترجم يحاول شخصيا و بفضل تجاربه وقدراته و من خلال إشارات جسم المتكلم أن يستخلص المعنى الحقيقي للتعبير اللساني أو مضمون الفكرة أو الحمولة القصدية التواصلية. فالإدراك يغلف العمل الذهني للترجمة الفورية بانيا للهدف و مكيفا للمعطيات. وعلى العكس فإن الكلمة بالنسبة للترجمة الفورية حاملة للغموض أكثر منها على الترجمة غير الفورية . الترجمة الفورية تسمى الترجمة الجسدية للاستقبال و تحويل أقوال الآخرين من خلال أعضاء المعنى. و إذا ما أردنا تمييزا واضحا و مطلقا بين ترجمة و ترجمة فورية يجب التأكيد على الفعل الذي على هذه الأخيرة توضيحه عند تلقيه في هيئته التامة.

إن تمييزنا بين اللفظين الترجمة و الترجمة الفورية لا يهدف للمعارضة بينهما و لكن يهدف قبل كل شيء للتأكيد على الفعل الذي ندرك به الاشياء بشكل مختلف عندما نترجمها أو نترجمها فوريا. فهذا الفرق في الإدراك على الأقل خاضع لعامل جسمي مؤقت يفترض توقيت و سرعة للفعل الذي يدركه المترجم الفوري. بينما المترجم يسمح له أن يأخذ زمنا للتفكير و التحليل. و يمكن أن يتفاعل المترجم الفوري في أي حالة من الأحوال مع ما يقال،في حين أنه بالنسبة للآخر –المترجم – فيتفاعل مع النص، أين تكون وجهة النظر مؤقتة و مفهومة من الترجمة كأنها طريقة نشاط. و في الترجمة الفورية كأنها فن تفاعلي.

4– المترجم ليس بالرجل الخفي:

يظهر المترجم الفوري بمثابة المحرك الحساس، و التمييز الصارم بين هذا المحرك كمتفاعل حسي و المعطى للترجمة يصعب الفصل فيه. لأن الفعل الإدراكي للمترجم الفوري يقع في مكان ما من التواصلية و ليس في ذاته،ونقول من جهة أخرى: الترجمة الفورية ليست تلك التي لها موضوع يبعث الرسالة بالطريقة التي ينظر بها الجميع،و هي ليست موضوع خالص، قائم بذاته و في استقلالية عن الموضوع المحسوس المدرك.

لا تقوم للتواصل قائمة بالنسبة لي، إلا من خلال إدراك يزيد في ذلك التواصل أو ينقص منه، من خلال غاية أو انفعال، فهما اللذان يلونان الإدراك لدينا.

لماذا هذا التقييم للأشياء المنظور إليها في التواصل؟ إذا لم نتمكن من فهمها بموجب حكم بارد مفصول عن المترجم. فهذا التقييم هو الذي يعطي لعلاقتنا حميمية مع التواصل. والشيء الأكثر صحة هو أن التواصل ليس بالشيء الخالص أو المعزول، لأنه يمتلك مؤهلات تجعله قائما بالنسبة إلينا بطريقة ما.

التواصلية معاشة و ليست فقط متصورة. فهي ترى بوصفها قيمة و معنى. و الترجمة التحليلية ليست هي من يجعل التواصل موضوعيا أو مأخوذا بشكل ما من الإيمان: إنها تتعايش مع الأصل بشكل من أشكال الانحراف من خلال رغباتنا في الوجود بها ومن خلالها.

لفهم الطبيعة الحقيقية للفعل الترجماتي علينا أن نفصل على الفور الكلمات التي ستترجم عن المعنى المتصور. تكون الترجمة أحيانا فعل عقلي و عاطفي على حد سواء، بالتأكيد الروح تفكر أثناء الترجمة، و لكن تترجم الأشياء أيضا مع مسيرتها. فالترجمة تشرع في إضافة سلطة تصرف مرافقة لكل القوى الفكرية. و لا يمكن للترجمة أن تتصور إذا كان الموضوع مؤثر أم لا، فهي تجعل من الروح موجه بسيط لها في لحظة معينة، تابعة لإدراك خاص. إن فهم الرسائل المترجمة تشير أكثر إلى حالة إدراكنا للمعنى الصحيح. و هذا ما يشرح في جزء كبير الميدان المتكرر لإعادة الترجمات دون التوقف عن تجديدها . يجب أن يكون هناك تمييز في التواصل متعدد اللغات بين الأبعاد التمثيلية للترجمة، و بعدها الإخباري. فالترجمة تعرض رسالة كما قمنا بعرضها لأنها تمثل صورة لفهمنا لها. و ترجمة المعنى هو أولوية ما نتخيله بناءا على ما نحن عليه، و بناءا على ما هو واقعي. و في الوقت ذاته عندما تعرض لنا الترجمة الرسالة الأصلية فهي تشير أيضا إلى معرفتنا، و هذا يعني الطريقة التي من خلالها نقبض على أشياء العالم.

إذن هو نفس الفعل الترجمي الذي يعرض الأصل و يخبر عن مدركاتنا الخاصة. إذا كانت كل الترجمات تخبر عن حالة داخلية لتصوراتنا و عارضة لشيء خارجي (المعطى للترجمة). فذاك دليل واضح على أنه لا يمكننا رؤية ترجمة تامة و موضوعية، غير موجهة و دقيقة، كما أنه لا يمكننا ايجاد ترجمة بدون تأثير المترجم. و لا يمكن للمترجم أيضا أن يكون غير متصل بالعالم الخارجي، أما العقل فلا يمكنه الاقتراب من الرسائل دون إدراك مسبق. و عليه يصبح الشيء الأكيد، أنه لا تقوم للترجمة قائمة على الإطلاق و هي وحيدة. لأنه أي رسالة أو نص، لا تقوم إلا على عمق ذاكرة مسموعة داخل نصية، و كل ترجمة حالية تستدعي كل الترجمات القديمة، و التي تكون بدورها موجهة نحو ترجمات مستقبلية تنسج في مجملها الذاكرة التي عاشها كل المترجمون.

5- المعارف قبل الترجمة:

نقوم في أغلب الأحيان بترجمة أنواع من النصوص المعروفة، فنترجم الروايات و المقالات، و الإشهارات ويدويات المستعمل و غيرها. و نتبع في ذلك طرقا، كنا قد قمنا بتجربتها سابقا منها: السردية و الإخبارية والوصفية و الإعلامية و غيرها. ونستعمل لتحقيق ذلك إجراءات معروفة من قبل و هي: الاقتراض، النسج،التكييف، التحويل..الخ. غير أنه ترجمتنا لهذه النصوص لا تحيل إلى تحيين ذكرياتنا التناصية أو مدركاتنا السابقة.

الترجمة التحليلية ترتبط بوصف طرائق خاصة، حين يقوم المترجم الفوري بمعالجة شيء في الترجمة يتخيله أو يتصوره أو يحاكمه أو يشعر به.... إن تفكير المترجم يعينه على العودة إلى تجربته الخاصة برؤية مزدوجة النظر و التقييم. و الترجمة حتما موجهة نحو هدف ما، غير أن المترجم يمكنه في أي لحظة من اللحظات العودة إلى ذاته، و ليس نحو ذلك الهدف الخارجي للتفكير حول تطبيقه. و أثناء الترجمة يمكن للمترجم أن ينظر داخليا لأفعاله المترجمة، و يعرف إن كانت ستذهله من خلال تطبيق ممل أو تطبيق إبداعي...

جعل الفيلسوف ميرلو بونتي من هذه الانعكاسية قلب و مركز العلاقة التي تحتفظ بالموضوع مع العالم. وتفكير الترجمة حسب هذا الأفق الفلسفي يؤكد ضرورة تواجد المترجم في نفس اللحظة التي يتواجد فيها النص المترجم : « ذلك الذي يرى لا يمكنه امتلاك الخفي كما لو كان يمتلكه». (ميرلو بونتي 1964: 177)

يجب أن نؤكد هنا على الفعل الذي تقوم عليه الترجمة بوصفه فعلا مدركا، لا يمكنه أن يكون مفهوما كتمثيل بعيد عن النص، بحجة أن موضوع المترجم سيكون منفصل ماديا عن الشيء المترجم. وحتى لو استخدمنا مفردات اللغة التمثيلية لأهداف ديداكتيكية تعليمية، لا يمكننا تصور تعارض في الترجمة بين الموضوع (ذلك الذي يتلقى طلب الزبون) و الشيء (ذلك الذي سيكون الدعامة جوهرية للعمل). لذلك تعد الترجمة الخط الجامع بين كياني و الكيانات الأخرى، و تعبر عن تأسيس علاقة حركية بين كياناتنا في لحظة جسدها التاريخ الإنساني.

تبقى المسافة متأصلة في فعل الترجمة، والترجمة أحيانا تجعلنا قادرين على تقريب النص المراد ترجمته (عندما تميل الترجمة إلى تحديد المسافة) ومن خلالها أيضا يمكن للمترجم أن يزيد هذا البعد عن طريق نقل المعنى المتصور إلى لغة أخرى. فهذه المسافة تعكس قدرة الترجمة في أن تؤثر على العالم و تتأثر به تزامنيا .

دعونا نلاحظ على مر الزمن أنه يجب التخلي التدريجي عن الانقسام الطويل الداخلي بين المصدر (نص الانطلاق) والهدف (نص الوصول) ، و من الضروري اليوم تحديد مكانة المترجم بوصفه موضوعا مدركا في قلب النقاش، أثناء حالات دخول و خروج الترجمة . فعندما يحدث خلط الحدود السلبية و النشاط الذي يقوم به المترجم، أو الخلط في الاستقبال و إنتاج المعنى. فإنه تتشكل صورة قوية تسمح بانتزاع هذا التحول في وجهة النظر.

6- المكعب الترجماتي:

إنه من غير الكافي أن يتم الإلمام بالنص الموجه للترجمة فقط من جانب معناه أو محتواه. فنطاق الترجمة لا يتوقف على قطب موضوعي واحد سابق في وجوده عن الضغط الذي ينشأ من الدخول إلى ساحة المترجم. فغالبا ما يحقق المترجم معنى النص، ذلك المعنى الذي لا يمكنه أن يتحقق بدونه. أو بشكل أدق: إذا كان المعنى المتصور لا يتحقق إلا من خلال ما ينظر إليه المترجم، و يعطيه قيمة. فبنفس الكيفية هذا الموضوع المنظور إليه لا يمكنه أن يكون متصورا لذاته إلا من خلال حركته الترجمية .

إن فعل الترجمة هو القضية المركزية للتفكير لأنه يجعل المعنى بالنسبة للمترجم و يجعل المترجم بالنسبة للعالم قائمان معا في وقت واحد. و يتم التخلص من فكرة أولية المعنى في فعل الترجمة. لذلك يمكننا من باب الأولوية وضع كيان الترجمة للتقييم الذاتي. و لكن كيف يمكننا انتزاع الصافي من هذه الترجمة؟ إن أعمال الفيلسوف جون بول سارتر حول التخييل الخلاق سمحت لنا بأن نلمح إجابة عن هذا السؤال.

يجب علينا أخذ الأشياء بمعانيها المتعددة حول وجهات النظر الممكنة، فالشيء في ذاته تركيب لكل مظاهره...و ما معنى ذلك بالنسبة إلينا؟ ضرورة أن نجعل دائرة للأشياء. (سارتر1940:22).

و هذا يدعو إلى انفتاح المترجم على معرفة لم تكن بعد، و هو استكشاف ضروري و تدريجي للأشياء. فمثال المكعب الذي وصفه سارتر يسمح لنا باستخلاص التعقيد في ميدان فهم المعنى في الترجمة.

مهما كان الشيء الذي يدخل في تصوري، لا يعطي لي جانب واحد في وقت واحد، نحن نعرف مثال المكعب: لا يمكن أن أعرف أنه مكعب طالما لم أكن ألقي القبض على وجوهه الستة، غير أنه يمكنني رؤية وجوهه الثلاثة بدقة في مرة واحدة، و لا يمكنها أن تكون أكثر من ذلك. إذن يجب فهمها على التوالي. سارتر (سارتر1940:21).

عادة ما يكون النص الموجه لترجمة عموما يمثل شيء حاضر أمامي كشيء قابل للمعرفة، و يمكنه أن يكون نصا الكترونيا و لكن ذلك لا ينتقص من طابعه الحساس للشيء المترجم . فالمشكل هنا لا يقع على الشيء و لكن يقع على طريقة استيعابه. نقترح عرضا للشيء المترجم بمتابعة المكعب و تصميمه الانعكاسي الذي أثير الحديث عنه سابقا. (صورة 01) لأن صورة المكعب الترجماتي تسمح بالتخلص من الصعوبة في عملية الترجمة. يمتلك المكعب ستة وجوه، و لكن يمكننا رؤية ثلاثة وجوه منها فقط في المرة الواحدة. و عندما نسلط الضوء على تعقيد عملية الترجمة بوصفها عملية تحاكي المكعب الذي يمتلك في الواقع ستة وجوه، فإنه من الممكن أن نرى فقط ثلاثة وجوه في وقت واحد. و هذه الوجوه يمكن للمترجم الوصول إليها من خلال مفاهيمه و تصوراته و نواياه الذاتية.

غير أنه ملزم بالضرورة أن يعود إلى المكعب لرؤية تصاميم و تصورات و نوايا الآخرين. أولئك الذين يتكلمون من خلال نص المصدر.

هذه الصورة المألوفة و المتحركة تجعل من الممكن أن نفهم عملية الترجمة التي تتطابق أساسا مع النشاط الفكري في التكيف الدائم. و هذا هو السبب في أنها تفتح مجالات جديدة في الاستغلال التعليمي. والمنهجية القاعدية تتمثل في تعليم عملية الترجمة وفقا لثلاثة مراحل أساسية: تفكيك المكعب الترجماتي و اختيار جوانب ذات صلة بالترجمة و إعادة بناء المكعب من قبل المترجم.

و تكمن الصعوبة في حقيقة أنه يجب على المرء أن يعترف صراحة بأنه لا توجد طريقة واحدة لتحليل الكلمات: إن ما نحصل عليه كتحليل هو شيء يبني لما وصفناه في ظروف معينة، و تلك الظروف هي التي ساهمت في بنائه (كامب و ريبل1993).

تفرض لغة الإنسان بعض الخصوصية و التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار.

يجب أن تكون لديها القدرة للتعبير عن الحاضر و المستقبل، و ليس فقط عن الراهن و الحقيقي. كما أن الشرط الذي لا يمكن الاستغناء عنه هو القدرة على التجريد و التعبير عن الروابط المنطقية: فاللغة تسمح بتطوير المنطق و الحجة حول ظاهرة أو موقف ما. و لها القدرة على التعبير عن ذاكرة الماضي، و تحديد النتيجة الأكثر انجازا لهذه القدرة و هي نقل الخبرة من خلال وسائل مختلفة منها: الكتابة و الصوت و الفيديو و غيرها...

يمكن التمييز بين ثلاثة مستويات رئيسية للتحليل:

المستوى الأول: هو ذلك المستوى الذي يكون فيه الكلام يمثل **نظام إشاري (دلالي)** فعلى سبيل المثال: كلمة خادم باللغة العربية تعني نادل ب(معنى أولا رمزي)

المستوى الثاني: هو الذي يكون فيه الكلام يجسد **نظام للمعرفة**: فعلى سبيل المثال نفس كلمة خادم تستخدم كعنوان رسمي لملك المملكة العربية السعودية خادم الحرمين- خادم الأماكن المقدسة.

المستوى الثالث: هو ذلك المستوى الذي يكون فيه الكلام يمثل **نظام تواصل** اللغة فعلى سبيل المثال: نفس كلمة خادم تستخدم في المثل العربي *خادم القوم سيدهم* الذي يعكس تماما المعنى الأصلي للكلمة، لأن كلمة نادل تتحول في معناها إلى كلمة سيد في الموقف التواصلي.

من وجهة نظر معرفية، هذه المستويات الثلاثة – في تصور اللغة – تندمج وتكمل بعضها البعض لإنتاج المعنى العام للرسالة في لحظة معينة و في وضع خاص. و غير أنه لا يمكن للجميع الوصول إلى هذه المستويات المختلفة في نفس الوقت، لأن ذلك يفترض تمكنا كافيا من فهم تعقيدات النظام.

يسمح مكعب الترجمة بفهم أفضل للصلة التي تجمع بين العالم الذاتي للمترجمين مع المعطيات الموضوعية المحمولة في النص الموجه للترجمة. و في الواقع المترجمون الفوريون يربطون الأشياء المتبقية دون شعور منهم، و يرجع ذلك لانطباعاتهم الشخصية. فهم يشعرون بقدر من العاطفة، تعرف من خلال اعتراضهم على الأوضاع التي يعيشونها. كما يسعى المترجمون دون وعي منهم إلى تعيين حجم هذه العواطف، حتى يتمكنوا من ترجمتها. وللقيام بذلك، نجدهم يصبغون المعطى النصي أو الكلامي بالموضوعية على الرغم من أنه ينتمي بكل دقة إلى وعي شخصي غير موضوعي. أظهرت أبحاثنا المجسدة حول الترجمة في صورة المكعب، أن هناك ثلاثة مراحل رئيسية منطقية و مرتبة زمنيا لفهم المعنى.

– **المرحلة الأولى**: هي تلك المتعلقة بالإدراك: فهي تهتم بتأثير كلمات النص الموجه للترجمة على أقسام الموضوع المترجم. هذه التأثيرات هي حركة تتجه على شكل كلمات إلى الدماغ بعد مرورها بمختلف المراكز العصبية ومراكز الذاكرة: إن لآليات فهم النص الموجة للترجمة بعد إدراكي أين تتفاعل مكونات الموضوع المترجم مع المعاني المخزنة في ذاكرة المترجم أو المدرك. (دلوز 1981).

المرحلة الثانية: هي تلك المرحلة المتعلقة بالتصميم: فهي تتعلق بالاتحاد بين المفاهيم المستمدة من النص و المفاهيم المخزنة في ذاكرة الموضوع المترجم. و هنا يظهر الفهم الناتج عن الروح المتحركة للنص، و التي تحكمها المكتسبات الداخلية للمترجم. إن الانطباعات التي يتم الشعور بها لا تتعلق بالضرورة بالأشياء المترجمة، لكنها تسمح بانطلاق عملية الترجمة. إن تزامن المعاني العقلية مع المعاني النصية تسمح بفك رموز النص وتفسيره.

المرحلة الثالثة: فتتمثل في القصد: فهي تتعلق بتشكيل مجموع المدركات و المفاهيم الناتجة عن المرحلتين السابقتين – وفق رؤية معينة – سواء كان ذو طابع شخصي، أو موضوعي أو مؤسساتي. و النشاط المكافئ بالمعنى الدقيق للكلمة هو اللحظة المفتاحية لهذه المرحلة المقصودة. لأنها تستدعي بشكل محدد تخصيصا لمعنى يبتغي غاية معينة و يكون عام أو خاص، و ملحوظ على المستوى الكلي أو الجزئي للنص.

و هكذا تظهر الترجمة بشكل نهائي بمثابة الفعالية بين حركة دافعة سلبية هي (الإدراك) الذي ينجح حركة دافعة ايجابية (التصميم) مشدودة تجاه هدف محدد هو القصد الذي يوضح كل الإمكانات و يجعلها في شكلها النهائي في التواصل (غويدار 2008) .

7 – ضع في المنظور:

الترجمة موجهة، لأنه سيكون هناك دائما مفاهيم و تصورات ونوايا مختلفة، حسب النصوص و حسب المترجمين. لأن هذا التوجيه الروحي بحاجة إلى تحليل تفصيلي و بطريقة فكرية.

إن النظرية التحليلية للترجمة تهتم بعملية الترجمة. و هي ترفض انقسام النص المصدر عن النص المستهدف. أما بالنسبة لنا فالمعنى لا يوجد في أحدهما و لا في الآخر، وهو في المتوسط الذي يمثله المترجم في لحظة معينة. و ما يؤكد أن المعنى مدرك، هو كونه أحد روافد فهم الموضوع المترجم. أو بعبارة أخرى على المترجم أن يفكر في نشاطه الترجمي حتى يحد من المخاطر الكامنة في هذا النشاط.

خاتـمة:

و يمكن الإشارة أخيرا إلى أن النظرية التحليلية تفترض الكفاءة اللسانية للمترجم. ويتم الحصول عليها أساسا من القدرة اللسانية التي يكتسبها المترجم في دورة الترجمة. فهذا الأخير لم يعد من المفترض أن يتعلم اللغة،و لكن عليه أن يكتسب الوسيلة لترجمة منتجات لغوية أصيلة. و درس الترجمة ليست بأي حال من الأحوال درس في اللغة. وتعلم لغات العمل هو شرط سابق غير قابل للتفاوض لتعلم الترجمة. و هذه الأسبقية في تعلم اللغة شرط أساسي يسمح بإجلاء مشاكل التعليم و تعلم اللغات لصالح إشكالات تتعلق بالترجمة .

قائمة المصادر و المراجع:

ليدر.م: **الترجمة اليوم، النموذج التفسيري**، دار الرسائل العصرية للنشر،باريس، دط، 1994م،ص196.

سليسكوفيتش.د مع ليدر.م: **مترجم فوري لأجل الترجمة**،باريس للمنح الدراسية، ط4، ص311.

بيرمان.أ: **لأجل الغريب**، دار فلاماريون للنشر،باريس، 1984م، 311

بيرمان.أ: **من أجل نقد الترجمات**: دار جون دون، باريس، فلاماريون، ص275.

هيكسلي.أ: **أبواب الإدراك**،تراد.ج.كراستي دار النشر ديروشي-الصخرة-1954م،171.

جيدار.م: **مدخل لعلم الترجمة**، دار البوخ للنشر، بروكسل2008م، ص240.

جيدار.م: **الترجمة و الاتصالات متعددة الألسن**،دار بوخ للنشر، بروكسل، 2008م، ص271.

جيدار.م: **الترجمة الاحترافية و الأمن الوطني**، من الملتقى السنوي الخامس و الأربعونATA المنعقد في أكتوبر14/13، تورنتو، 2004م،ص ص:43-333

باكر.م: **الترجمة و الصراع، الوساطة في منافسة السرد**، دار روتلج للنشر، 2006م،ص208.

ميرلو بونتي.م: **علم ظواهر الإدراك**، دار كاليمار، باريس ، 1945م،ص531.

ميرلوبونتي.م: **المرئي و غير المرئي**، دار كاليمار للنشر،TEL باريس، 1964م،ص364.

ميشونيك.هـ: **لأجل الشعرية02 – نظرية المعرفة للكتابة الشعرية في الترجمة**، دار كاليمار للنشر،باريس، ص457.

ميشونيك.هـ: **لأجل فن و سياسة الترجمة**، لاكراس فيرديي للنشر، باريس2007 م، ص185.

سارتر.جون.ب: **المتخيل**،كاليمار كول، باريس، 1940م، ص379.

بيرقسون.هـ: **مادة و مذكرة** ،دار سويل للنشر-PUF، 1990م،ص280.

دولوز.ج: **منطق الإحساس**،دار سويل للنشر باريس ، 1981م،ص158

شانجو. ج.ب: **الرجل العصبي**، باريس، فايارد للنشر، 1983م، ص419